# اليعقوبي ومكانته لدى المستشرقين دراسة تحليلية

أ.م.د لطيف هاشم كزار مطر/ جامعة واسط /كلية التربية/قسم الجغرافية

م.م أميرة محمد علي حمزة / جامعة بابل/كلية التربية/قسم الجغرافية

**ملخص:**

اليعقوبي هو أبو العباس احمد بن يعقوب بن وهب المعروف باليعقوبي والمكنى أبو العباس ، وقد عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي ) ، وبالرغم من انه ولد في بغداد ،فقد قضى معظم حياته في مصر والمغرب ، وقد اشتهر في رحلاته في أرمينيا وخراسان والهند وتركستان والأندلس والمغرب ومصر والشام والعراق ، وكان يسال أهل البلدان عن عاداتهم وتقاليدهم ومكوناتهم وما يمارسونه من أنشطة اقتصادية زراعية كانت أم صناعية أو تجارية ، وقد حظى كتابه الموسوم (كتاب البلدان ) بشهرة واسعة في العالم الغربي .

استطاع اليعقوبي من خلال مؤلفاته وكتبه وخاصة كتاب البلدان أن يعكس العديد من المعطيات التاريخية والجغرافية ، واعتمد في كتابة تاريخه على الكتب الدينية القديمة فيما يسميهم بأهل الكتاب ، وكذلك أهل العلم العلماء الذين نذروا أنفسهم للبحث العلمي والتتبع العلمي ، واعتمد على الرحالة من قبله وكذلك النقوش الاثارية.

أما المعطيات الجغرافية فقد تجسدت في معظم حقول الجغرافية منها الطبيعية والحضارية وهندسة الري ونشاط الإنسان الصناعي والجغرافية الاقتصادية والبشرية وجغرافية المدن .

لهذا تناول المستشرقون اليعقوبي ومؤلفاته وخاصة كتاب البلدان ، وكانت أكثر كتاباتهم تمتدح وتقدر ما قام به اليعقوبي من الأعمال ، فالمستشرق فرانز روزنثال أشاد به بقوله أن فكرته عن التاريخ جاءت قريبة من الأفكار الحديثة ،إلا أن هذا المستشرق يرى أن تلك الفكرة كانت سطحية ولم تنفذ إلى أعماق الفكرة الحديثة ، ومهما يكن فان الكثير من المستشرقين قد أشادوا بمؤلفات اليعقوبي وأسلوبه وطريقة تنظيمه فالمستشرق مرغولبوت يعتبر تنظيم اليعقوبي لمادة تاريخه شبيها بالتنظيم المتبع في الكتب الحديثة ، وشبه هاملتون تاريخ اليعقوبي بموسوعة تاريخية .

وكانت أراء المستشرقين عن اليعقوبي الجغرافي كثيرة ومستفيضة ، فالمستشرق كرانشكوفسكي قال عنه انه لا يمكن إنكار النزعة التجديدية عند اليعقوبي بتناوله الكتابة الجغرافية على أساس الولايات .

**المقدمة :-**

**الترحال والتنقل من مكان لأخر ظاهرة صاحبت الإنسان في حياته منذ أقدم العصور،كان ذلك ليس بدافع تامين الحاجات الأساسية والضرورية لديموميته واستمراريته في الحياة فقط، بل كان حبه للاستطلاع هو الذي يدفعه للتجوال والانتقال أيضاً ، وأدب الرحلات يحدثنا على أن العرب كانوا سباقين إلى مجابهة الصعاب والسير إلى حيث المستطاع الوصول إليه ،ونتيجة لذلك عني العرب ومنهم اليعقوبي بوضع الكتب عن هذه الرحلات التي من خلالها استطاعت الدول آنذاك الاسترشاد بها لأداء أعمالها الإدارية وتوطيد علاقاتها السياسية ، وتضمنت تلك الكتب معظم جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية بل وحتى السياسية ،وتتابعت وتطورت أمثال هذه الرحلات حتى برزت في القرون الوسطى بشكل أكثر دقة وعلمية ، وكان العرب ابرز روادها لاسيما وان بلاد الإسلام كانت أكثر بلاد العالم تمدناً في ذلك الوقت ، وكان للنشاط والحركة التجارية دورها الواسع في تطور المعرفة الجغرافية وتشعب حقولها بصورة تتفق وحاجة الناس والدولة حتى أن مؤلفاتهم لا تزال تعد الركيزة الأساس في كثير من مناطق العالم وخاصة القارة الأوروبية .**

**من هنا جاء اهتمام المستشرقين بصورة لا تقبل الشك بتلك النتاجات العربية ومنها مؤلفات وكتب اليعقوبي ،ذلك أن الأهمية الأساسية للأدب الجغرافي العربي تستند على ما أسهم به من مادة جغرافية جديدة لا على النظريات التي اعتنقها البعض .**

**يهدف البحث إلى بيان الأهمية ا التاريخية والجغرافية لمؤلفات اليعقوبي وأسلوبه في تناول المعلومة الجغرافية في إطارها التاريخي والتي انعكست على مكانته لدى المستشرقين ، خاصة وان اليعقوبي تميز بالاتساع الهائل في مدى المعلومات الجغرافية شانه شان بقية الرحالة العرب أمثال المسعودي وابن حوقل وابن فضلان والمقدسي والإدريسي وابن جبير وابن بطوطه وغيرهم ممن كرسوا حياتهم لتقصي الحقائق والمعلومات عن سائر البلدان بما ينفع الدولة ونشاط الناس .**

*أولا :السيرة الشخصية :*

**أ:الاسم:**

**عرف اليعقوبي بأحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخباري العباسي ([1]).**

**ب:اللقب:([2])**

**لقب بالمصري والاصبهاني والكاتب واليعقوبي والأخباري ، يبدو من هذه الألقاب أنها جاءت أما :**

- **نسبة إلى قطر معين كمصر.**
- **أو نسبة إلى مدينة كاصبهان المدينة الإيرانية المعروفة .**
- **أو جاءت من مهنته التي اشتهر بها وهي الكتابة والتدوين ، ذلك أن لقب الكاتب اشتهر بها جماعة الكتابة المعروفة ، وتسمى بها فيما بعد عدد من العلماء بهذا الاسم ، وأصبح هذا اللقب يطلق على أصحاب العلوم الدنيوية ، ولان اليعقوبي اشتهر بالعلوم غير الدينية ،لذلك لقب بهذا اللقب ، هذا إضافة إلى تمييز لباس الكاتب عن لباس العالم الديني ،إذ أن الكاتب يلبس الدراعة ،في حين يلبس العالم الطيلسان .**
- **أما اليعقوبي وهو اللقب الذي عرف به ، فيعتقد البعض انه نسبة إلى يعقوب وهو اسم لجد بعض المنتسبين ، ولربما جاء اسم اليعقوبي عن أبيه إسحاق الملقب بابي يعقوب ، ومن المحتمل أن تحول اسم أبي يعقوب بمرور الزمن إلى اليعقوبي ، أو لشهرته العلمية وشهرة عائلته في مجال السياسة ،لذا غلبت عليه هذه التسمية.**
- **أما لقب الأخباري فهو نسبه إلى الأخبار ، ويقال لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر الأخباري واشتهر بهذه التسمية جماعة ،كما جاء أيضا أن الخبر يعني الرواية أو القصة ، وبما أن اليعقوبي اشتهر في الأوساط العلمية كمؤرخ لذلك غلب عليه هذه التسمية ،هذا إذا علمنا أن كلمة أخبار تطابق التاريخ من حيث انه قصة وحكاية ([3]).**

**ج:الكنية:**

**عرف اليعقوبي بكنى عديدة منها: ([4])**

**_ابن واضح:نسبه إلى جده الأعلى واضح الذي كان من موالى الخليفة المنصور العباسي ، والذي شغل يوما ما مناصب أدارية كبيرة أيام المنصور والمهدي والهادي .**

---

( [1] )- ياقوت الحموي ، معجم الادباء ،ج5،ص153.

[2]( )- للتفاصيل :ينظر:

- ياسين ابراهيم علي الجعفري ، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي ،دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ،1980 ،ص 19-20.

( [3] )- فرانز روزنتال ،علم التاريخ عند المسلمين ،ترجمة صالح احمد العلي ،مراجعة محمد توفيق حسين ،بغداد ،1963،ص19.

( [4] )- ياسين ابراهيم علي الجعفري، مصدر سابق ، ص 21.

**-ابن اليعقوبي:نسبه إلى نسبه اليعقوبي.**

**-ابن أبي يعقوب :نسبة إلى أبيه.**

**د:نسبه:**

**يحمل اليعقوبي نسب العباسي ،نسبة إلى البيت العباسي الحاكم وجاء هذا النسب عن جده واضح ، إذ كان موالى المنصور ومن المقربين إليه والمعتمد عليه في المهمات ، وتقلد مناصب أدارية كبيرة إذ عين حاكما على أرمينيا وأذربيجان ، كما عين أيضا حاكما على مصر في عهد الخليفة المهدي ([1]).**

**يعتبر اليعقوبي من الجغرافيين المسلمون الكبار الذين ساهموا في رفد المكتبة العالمية في أدب الرحلات الجغرافية ، سيما وان هذه الرحلات كانت منذ بداية التفكير الجغرافي من أهم وسائل المعرفة الجغرافية ، وظلت الأداة الرئيسة الفاعلة لأي جغرافي ، وهذا الأمر لم يقتصر على اليعقوبي فقط ،فالجغرافيون اليونانيون والرومانيون أمثال سترابو وبليني وبطليموس قد استعانوا بالرحلات استعانة كبيرة في جمع معلوماتهم الجغرافية ، وهكذا فعل الجغرافيون المسلمون أمثال اليعقوبي والاصطخري والمقدسي وابن حوقل والمسعودي والإدريسي ، وظل الكشف الجغرافي المعتمد على التجربة الشخصية من ابرز متطلبات الجغرافي الأوروبي لغاية بداية القرن العشرين ،حيث تم الكشف عن جميع مجاهل الأرض عدا أجزاء بعيدة محدودة،وقد اعتمد رواد الجغرافية العلمية الحديثة من أمثال همبولدت Humboldt وريتر Ritter وراتزل Ratzel وفيدال دي لابلاش Vedal Delablache على الرحلات الشخصية اعتمادا كبيرا ([2]).**

**أما ما يتعلق بالجغرافية العربية فكانت الرحلات التي قام بها اليعقوبي وغيره من الرحالة العرب ،تمثل في الحقيقة الهدف المركزي لها والعدة الأساسية للجغرافي ، بالتالي فان العديد من الجغرافيين قد اعتمدوا في كتاباتهم اعتمادا أساسيا على رحلاته الشخصية ،ذلك أن الجغرافيون العرب والمسلمون عموما هم رحالة أصلا ، وكانت الظروف المادية عونا لهم على القيام برحلاتهم الواسعة ضمن رقعة العالم الإسلامي الشاسعة التي كانت تربط بين أجزائها وحدة سياسية ودينية ولغوية ، إلا أن الأمر يتطلب التميز بين صنفين من الرحالة :-**

**الأول:صنف يطوف البلدان لهدف علمي وذلك لكي يسجل المعلومات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية عنها تسجيلا أميناً، وينتمي إلى هذا الصنف الجغرافيون العلميون ومنهم اليعقوبي**

**الثاني:صنف يسوح في الأمصار لغرض سياسي أو تجاري أو ديني ،ثم يدون ملاحظاته ومشاهداته في كتاب ، وينتمي إلى هذا الصنف الرحالة الأدباء ، حيث يغلب على هذا الضرب من الرحلات الطابع الأدبي .**

---

( [1] )- الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ص293.

( [2] )- شاكر خصباك ،في الجغرافية العربية ،دراسة في التراث الجغرافي العربي ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،1988،ص 181.

ومع أن كتابات كل من هذين الصنفين تؤدي في النهاية إلى زيادة حصيلة المعلومات الجغرافية ،إلا أن من الواضح أن هناك فروقا جوهرية تميز بينهما ، فكتابات الرحالة الجغرافي تحمل بذور البحث العلمي ، بما تنطوي عليه من استقصاء وبحث دائمين ، وملاحظاته تشمل كل ناحية من نواحي البلاد التي يحل فيها طبيعة كانت أم بشرية أم اقتصادية ، وهذه كانت الصفة الغالبة لكتابات اليعقوبي.أما كتابات الرحالة الأديب فذات اقل محدود وهي تكتفي بتسجيل مشاهد عابرة وملاحظات شاردة ، ومن هنا فليس من الموضوعية أن يطالب الرحالة الأديب بمثل ما يطالب به الجغرافي من دقة علمية واستقصاء عميق ، وغاية ما يطالب به أن يكون أمينا في نقل المشاهد التي تقع تحت أبصاره وان يرصد اكبر عدد منها مما يمكن أن يكون ذا فائدة علمية .

*ب:آثاره العلمية:*

لقد أصاب اليعقوبي شهرة واسعة في أدب الرحلات العربي على الصعيد الأكاديمي ، فكيف لا وهو الذي كان على مستوى عقلي رفيع واطلاع متنوع وثقافة عالية واسعة مكنته من عطاء علمي ثري وغني اعتمد عليه الكثير من الباحثين والدارسين ، وهذا الأمر قد عزز من مكانته لدى المستشرقين .

ومن أهم تصانيف اليعقوبي هي : ([1])

1-كتاب التاريخ الكبير.

2-كتاب أسماء البلدان مجلدا.

3-كتاب في أسماء الأمم السالفة صغيرة.

4-كتاب مشاكله الناس لزمانهم .

وقد سارت بقية كتب التراجم على هذا التصنيف الذي جاء به ياقوت الحموي ([2])، الذي له معجمه المعروف معجم البلدان والذي تجاوزت أهميته كثيراً حدود الجغرافية الطبيعية ، فهذا المعجم جامع لجميع أبواب الجغرافية الفلكية والوصفية واللغوية والتاريخية والدين والحضارة وعلم الأجناس Ethnology ، وقد برز معجم ياقوت الحموي في القارة الأوروبية خلال القرن التاسع عشر ، حيث ركزت القارة الأوروبية اهتمامها على كتابات الإدريسي وابن الوردي ([3]).

كما توجد تصانيف أخرى لليعقوبي غير التي ذكرها الحموي في معجمه ومنها : ([4]).

---

( [1] )- صلاح الدين المنجد ،اعلام التاريخ والجغرافية ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،1997 ،ص 152

( [2] )- ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ،جزء9،ص 52

( [3] )- عبد خليل فضيل وابراهيم عبد الجبار المشهداني ، الفكر الجغرافي ،دار الحكمة للطباعة والنشر ،الموصل ،1990 ،ص 136.

( [4] )- صلاح الدين المنجد ،مصدر سابق ،ص 42.

1-كتاب المسالك والممالك :وقد أشار إليه أبو الفدا واعتمد عليه حيث ألف كتاب تقويم البلدان الذي يعد من المصادر العربية التي تركت أثراً في القارة الأوروبية ، ويشير كراتشكوفسكي إلى رأي العالم الفرنسي رينو في كتاب أبي الفدا (تقويم البلدان )([1])

2-فتوح المغرب:كتبه في المغرب لكنه ضاع .

3-كتاب خاص عن الظاهريين .

ولأهمية كتابه كتاب التاريخ الكبير ،يمكن الإشارة وباختصار إلى أهم الجوانب التي تضمنها هذا الكتاب وتطرق إليها اليعقوبي:-

1-الجانب الديني:لقد أعطى اليعقوبي أهمية بالغة للنواحي الدينية ،خاصة في تاريخه لما قبل الإسلام ، فهو يبتدئ الكتابة بقصة الخليقة ثم تاريخ الأنبياء ووضح قصة ادم ونوح (عليهما السلام ) ثم أولاد نوح ، وقد وضح اليعقوبي فيها كيف تناقل أبناء ادم وأحفاده الرسالة ، وتطرق إلى قصة النبي نوح وشرح سفينته وما تلا ذلك ثم ذكر أبناء نوح الثلاثة :سام وحام ويافت.وأضاف العديد من القصص ، كما انه أكد على بعض المواقع الجغرافية ذات الأهمية التاريخية كمدينتي سدوم وعمورة في ارض فلسطين ومنها ما زالت باقية كبئر زمزم ، وكيف ظهر الماء ثم بناء الكعبة على يد سيدنا إبراهيم ،ثم بناء بيت المقدس في القدس من فلسطين وبناء مدينة بيت المقدس وهي القدس الحالية ، كما أعطى تفسيرات لأصل كثير من الأسماء ،نذكر منها :-

- عرفات:هذه عرفات فاعرفها، فسميت عرفات.

- المزدلفة كقوله :ثم أفاض به من عرفات فاعرفها ،فلما حاذى المازمين قال له :ازدلف فسميت المزدلفة .

-تفسيره لصلاة الجمعة:قوله اجمع الصلاتين فسميت جمع .

-يوم التروية:قوله فلما كان يوم التروية قال له جبريل ترو من الماء فسميت التروية .

-البلقاء من ارض الشام:قوله وسار يوشع حتى انتهى إلى البلقاء ،فلقي رجلا يقال له يالق وبه سميت البلقاء .

وغيرها من الأسماء ، وهذا الأمر يعطي لتاريخ اليعقوبي قيمة علمية كبيرة لتفسير المواقع والأسماء مما يشبه المعجم .

يتجسد الاهتمام بالنواحي الدينية من قبل اليعقوبي في انه أولى الدين المسيحي اهتماما لا يقل عن اهتمامه بالدين اليهودي ،وتجلى ذلك في سرده لقصة نبي الله عيسى بن مريم (عليه

([1])- عبد خليل فضيل وابراهيم عبد الجبار المشهداني، مصدر سابق ،ص 144 .

السلام)وتناول الأناجيل الأربعة ،كقوله:وكان الأربعة الذين كتبوا الإنجيل :متى ومرقص ولوقا ويوحنا ، وأورد نصوصا من كلا منهما ([1]).

كما أورد أسماء أصنام القبائل التي كانت القبائل تعبدها ، وأوضح اليعقوبي أن تلك الأصنام كانت سببا في انتشارها بين العرب ،فكانت العرب إذا حجت البيت ، فرات تلك الأصنام سالت قريشا وخزاعة فيقولون نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى ، فلما رأت العرب ذلك اتخذت أصناماً فجعلت كل قبيلة لها صنما يصلون له تقربا الى الله فيما يقولون .ومن هذه الأصنام التي ذكرها صنم ود الذي كان منصوبا بدومة الجندل بجرش وصنم النسر لقبائل اليمن كحمير وهمدان وكان منصوبا بصنعاء ، وصن العزى لقبيلة غطفان وصنم ذو الكعبات لربيعة وأياد وكان منصوبا بسنداد في ارض العراق ، وصنم اللات لتثقيف بالطائف وصنم مناة لقبيلتي الأوس والخزرج وكان منصوبا بفدك مما يلي ساحل البحر وكان لقبيلة دوس صنم يقال له ذو الكفين وغيرها من الأصنام الأخرى([2]) .

الاطلاع على هذا الجانب الديني يعطينا دليلا واضحا على أن كتابات اليعقوبي عن الأديان التي كانت قبل الإسلام قدمها بشكل موجز وبلاغة لتكون سهلة لمن أراد الاطلاع عليها ، وكان الجهد الصادق لا لبس فيه ولا اختلاف ، وهو عندما أراد أن يحقق ذلك اعتمد على مصادرها الأصلية بقدر توفرها لديه مع الاستعانة ببعض الرواة وبذلك وصل إلى مستوى عال من الدقة والموضوعية والمهنية .

2-الجانب الثقافي:

لقد أعطى اليعقوبي اهتماما أخر تجلى بالجانب الثقافي ، حيث يحل التاريخ الثقافي محل التاريخ السياسي متبعا هذا الأسلوب إذا افتقد الأخبار عن التاريخ السياسي ، وذلك يبدو من خلال بحثه عن الإغريق والهنود وأهل الجاهلية من العرب ، وكذا الأمر حين تطرق إلى ذكر ملوك الهند وأورد ذكر ملكهم برهمن الذي كان زمانه يمثل البدء الأول ، وكان أول من تكلم في النجوم واخذ عنه علمها ، ثم تطرق إلى ذكر كتب الهند المهمة ، وأهمها (السند هند) ، وتكلم عن الحساب الهندي واعتبره أصل الحساب ، ثم تكلم في الجغرافية الهندية وتقسيم الدنيا الى سبعة أقسام وقطر الأرض الذي قدره بألفين ومئة فرسخ ، وتكلم في الفلك والأنهار والمدن والكواكب والبروج وأورد خبر الشطرنج وأعطى تسميه له بالفارسية هشت رنج .

لم يقتصر اهتمام اليعقوبي على ذلك فقط ، بل تعداه إلى علوم اليونان وحكمائها فكتب عن أبقراط ، وجالينوس وأورد العديد من أسماء كتبهم وأورد نصوصا منها ، ثم ذكر فيثاغورس الذي يعتبر أول من نطق في الأعداد والحساب والهندسة ووضع الألحان وعمل العمود ، ثم ذكر تلميذه أرشميدس ثم يلينوس النجار الذي يقال له اليتيم وهو صاحب الطلسمات ، واوجانس صاحب

( [1] )- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،دار صادر ،بيروت ،1960 ،ص 68
( [2] )- نفس المرجع .

القسمة والهندسة وأنواع الفلسفة ، وكان يقال له ديوجاش الكلب ، ومنهم اقليموس صاحب المخانيقا وهي الحركات التي تكون بالماء مثل الصورة تعمل ، فيحركها الماء من غير ان يحرك شيء منها ، ومنهم اقليمون صاحب الفراسة وغيره من الحكماء والفلاسفة ، وكذلك بطليموس الذي وضع كتاب المجسطي وكتاب ذات الحلق ([1]).

كما اهتم اليعقوبي بثقافات العرب القديمة واهتم بشعراء العرب ، لان العرب كانت تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم ، كما وان العرب لم يكن لهم شيء يرجعون إليه من أحكامهم وأفعالهم إلا الشعر ، كما وان الشعر كان يمثل السجل الذي يسجل أحداث التاريخ عند العرب حتى قيل :ان الشعر ديوان العرب أي سجل أعمالهم ، كما يلاحظ أن اليعقوبي استمر بالأمور الثقافية حتى في الجزء الثاني من كتابه الذي يبحث في التاريخ الإسلامي ، ويبدأ ببعض الحكميات عن أهمية المعرفة وبنقل ذلك عن الأمام علي بن أبي طالب ([2]).

*ج:اهتماماته الجغرافية:*

التمعن بكتاب التاريخ لليعقوبي نجد معلومات جغرافية غزيره ممكن أن تكون مرجعا جغرافيا يستفيد منه الباحثون ، وهذا ليس بغريب عن اليعقوبي الذي ساح البلدان وتقرب وتعرف واطلع على العديد من أقطار العالم الإسلامي إضافة إلى اطلاعه على العديد من الكتب الجغرافية المترجمة ، وهو في تاريخه يمزج بين التاريخ والجغرافية وان كان الطابع التاريخي هو الغالب على تاريخه، فالمؤرخين كانوا على اتصال بالجغرافية، فليس من الغريب أن يجسد اليعقوبي في كتابه الاتصال بين التاريخ والجغرافية، فالمواقع الجغرافية التي وقعت فيها الحوادث التاريخية كانت هي السبب في ذلك الاتصال.

يمكن أن نؤكد هنا أن التاريخ والجغرافيا لا يمثلان شيئين مختلفين ومتقابلين كما يذهب الذين يحاولان التمييز بينهما بوجه عام، على أنهما يمثلان دراسة الإنسان والأرض ،إذ لم يختف بعد تماما الرأي الذي يذهب إلى أن التاريخ يبدأ حيث تنتهي الجغرافيا ، مستندا إلى أن الأخيرة تعني بالحقائق الطبيعية وحدها ، وهو رأي مستمد من فكرة أن الجغرافيا لا يؤمن بها بعض الدارسون ، فمما لا شك فيه انه لا يمكن ان نبالغ في توكيد الهدف الرئيس من دراسة الجغرافيا وهو دراسة البلاد بكل نواحيها العديد وعلاقتها المعقدة ، ولكن دراسة البلاد تتضمن بدون شك دراسة الإنسان وهو عامل مهم في تطويرها ، كما انه عامل لا يمكن ان نتجاهله بصفتنا افراد النوع البشري الذي لا يزال يعيش وحده إلى اليوم ([3]).

---

([1])- اليعقوبي ، مرجع سابق ،ص 118-122.
([2])- هاملتون جب ،دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس واخرون ، بيروت ،1964،ص 154.
([3])- جوردون ايست ،الجغرافيا توجه التاريخ ، ترجمة جمال الدين الدناصورى،دار الهلال ،بدون تاريخ ومكان طبع ،ص13.

. ، ولما كان كل حادث من أحداث التاريخ يقع في مكان وزمان معينين معا ، فان التاريخ لا يمكن_ إلا في بعض فروعه الدقيقة التخصص - أن ينتزع أو ينفصل عن البلاد أو المكان لأنه إذا كانت الجغرافية بدون تاريخ تبدو كهيكل بدون حراك ، فان التاريخ بدون جغرافية كضال لا مأوى له يسير على غير هدى ([1]).

ولان اليعقوبي كان من الأوائل الذين كتبوا في التاريخ العالمي وجد نفسه منساقا للجغرافية لكي يكمل بها تاريخه ، لذلك نجد في تاريخه قد مزج فيه الجغرافية كغيره من الذين ساروا على هذا النهج كالبلاذري في فتوح البلدان والمسعودي في مروج الذهب ، إلا أن اتجاه الجغرافية في تاريخه كان محدودا ، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود لمحات جغرافية تطالعنا في تاريخه ومن هذه اللمحات الجغرافية:

1- تناول اليعقوبي في تاريخه دراسة الأجناس والتي قسمها إلى ثلاث هم الساميون ،الحاميون،اليافثيون.

2- اهتم بطرق المواصلات البرية والبحرية ،خاصة تلك التي تربط الصين مع العالم ، وأعطى للبحار أسماءها القديمة ، فاهم البحار التي تحيط بالصين وتربطها مع غيرها ، وفي ذلك يقول اليعقوبي:(( وبلاد الصين بلاد واسعة فمن أراد الصين في البحر قطع سبعة أبحر كل بحر منها له لون وريح وسمك ونسيم ليس هو في البحر الذي يليه ))وعدد البحار السبعة ([2])، وأعطى موجزا عن أهم الطرق البرية التي تربط الصين مع العالم الإسلامي ، وفي ذلك يقول : ومن أراد الصين على البر سار في نهر بلخ وقطع بلاد السفد وفرغانه والشاش والتبت حتى يصير إليها .

3- إن أي دولة من دول العالم تعني رقعة من المكان لها نظامها السياسي ، وقد زالت معظم الدول القديمة وقامت على أنقاضها دول أخرى أكثر اتساعا وأوفر إمكانية ، وتطرق اليعقوبي في تاريخه إلى ذكر تلك العديد من تلك الدول القديمة ، وفي هذه الحالة يعتبر تاريخه وثيقة تاريخية عن جغرافية تلك الدول القديمة ، فمثلا انه ذكر الدويلات التي كانت سائدة في الهند حيث يقول : (( ولهم ممالك مختلفة وملوك متفرقة لسعة البلد في طوله وعرضه ))([3]) كما ويذكر الدول التي كانت قائمة آنذاك ومنها الهند ،مملكة مصر القديمة ،مملكة النوبة ،ممالك البجة ،ممالك غرب السودان .

4- المعجم الجغرافي:حيث أورد اليعقوبي في تاريخه تفسيرات للعديد من المواقع الجغرافية التي ممكن أن تكون مرجعا مهما للدارسين والباحثين في الوصول إلى تحديد تلك المواقع ، ومن أهمها ، أماكن يأجوج ومأجوج ،جزائر واق واق ، صحراء التيه ،البلقاء،مدن الجزيرة وبلاد الشام ،المدن الفارسية ،المدن المصرية القديمة،المدن اليمنية .

---

( [1] )- نفس المصدر،ص 14.
( [2] )- للتفاصيل :ينظر:
-اليعقوبي،مرجع سابق ،ص181-182.
( [3] )- نفس المرجع ،ص 199.

*د:العلماء الغربيون (المستشرقون) واليعقوبي*

**لقد أعطى اليعقوبي البحث العلمي المتواصل قيمته العلمية التي يستحقها ، هذه القيمة دفعت العديد من العلماء الغربيون لدراسة اليعقوبي ومصنفاته ، حيث أولوه اهتماما كبيرا تجسد من خلال البحث والدراسة والاستفادة منه ، ومن هؤلاء:- ([1])**

**1- جونبول:Juyn Ball**

**هو هولندي الأصل كان أستاذا في جامعة ليدن ،ثم أصبح مترجما لدى الحكومة الهولندية ، قام بترجمة كتاب البلدان إلى مختلف اللغات وأتم طبعه في ليدن الجامعة عام 1861.**

**2-دى كوى De Goeye**

**هو مستشرق هولندي استطاع ان يكون مكتبة جغرافية تضم كتب الجغرافيين العرب المشهورين ، وكان كتاب اليعقوبي من ضمن كتب هذه المكتبة حيث تسلسله ضمن هذه المجموعة السابعة ، كما قام دي كويه بنشر القسم الخاص بالمغرب أخذه عن كتاب البلدان لليعقوبي مع شرح لاتيني ووضعه في الجزء السابع من مكتبه بليدن عام 1892.**

**3-جبريل فران Gabriel Firrand**

**وقد ادخل كتاب اليعقوبي ضمن مكتبة الجغرافيين العرب التي يتولى نشرها جبريل فران وكان تسلسل كتاب اليعقوبي الثاني من ضمن كتب هذه المكتبة .**

**4-جاسون فيت :Gaston Wiet**

**أعلن جاستون فيت عن ترجمته لكتاب البلدان بقصد نشره في مكتبة الجغرافيين العرب التي يصدرها جبريل فران.**

**5-كاردى لو Kirdi Lo**

**ناقش كاردى لو منهج اليعقوبي ومواهبه في كتاب اسمه Penseurs De LIslam ج2 4-7 طبعة باريس لسنة 1921.**

**إذا نتساءل هنا ما هي القيمة العلمية التي استفاد منها المستشرقين من كتاب البلدان :- ([2])**

**1-قرين وتسمية النورمان بالروسي كما جاء في كتاب البلدان :**

**يعتبر اليعقوبي أول من أطلق اسم (الروس) على النورمان الذين أغاروا على الأندلس سنة تسع وعشرين ومائتين ، وفي ذلك يقول اليعقوبي: ( وغربي المدينة التي يقال لها الجزيرة مدينة يقال**

---

([1])- ياسين ابراهيم علي الجعفري ،مصدر سابق ، 224.

([2])- كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، منشورات الجامعة العربية ،ج2 ،ص160.

لها اشبيلية على نهر عظيم وهو نهر قرطبة دخلها المجوس الذين يقال لهم الروس سنة تسع وعشرين ومائتين للهجرة )

إن إطلاق اسم الروس على أولئك المهاجمين أثار فضول العلماء المستشرقين ، ويعتبر فرين أول من لفت الأنظار عام 1838 م الى هذا الاسم بعد دراسة المخطوطة التي اكتشفها مخلينسكى قبل ذلك بقليل.

2-ستكوفسكي Senkovski:

في نفس العام 1838 كتب المستشرق ستكوفسكي مقاله بعنوان (أصل الروس) أعلن فيه أهمية ذلك الاكتشاف الذي أعلنه فرين .

3-رينو Renoنو :

في عام 1848 كتب المستشرق رينو في مقدمته المشهورة في الجغرافية العربية عن اليعقوبي مبينا مكانته العلمية ومعرفا الدوائر الأوروبية عن شخصية اليعقوبي وما ذلك إلا بفضل ذلك الاكتشاف الذي أوجده فرين .

4-جي لسترانج وكتاب البلدان :

تمكن جى لسترانج بمساعدة كتاب زهراب وكتاب اليعقوبي من أن يستعيد رسم خطة بغداد وضواحيها وأودع ذلك في كتابه بغداد في عهد الخلافة العباسية .

ومعروف أن كتاب البلدان هو نتاج جهد طويل لليعقوبي الذي كرس حياته ووجدانه من اجل أن يكتب ويصنف كتابا جغرافيا مستمدا من الواقع الطبيعي والاجتماعي الذي شاهده بنفسه وعايش أوضاعه وظروفه ، لذلك جاء كتاب البلدان صورة واضحة ناطقة معبرة عكست كل جزئيات ذلك الواقع ، فاليعقوبي في كتابه البلدان تطرق إلى أصناف جغرافية متعددة ، ففيه وصفا مفصلا لكثير من الأماكن التي ذكرت فيه كما يحفل بنسبة كبيرة من الجوانب الطبيعية أو ما تسمى بالجغرافية الطبيعية ويتمثل ذلك بالجبال والسهول والأنهار والمناخ ، فقد ذكر طبيعة السطح الذي سار عليه اليعقوبي في ترحاله وجولاته العلمية ، واستطاع أن يصور ذلك السطح تصويرا دقيقا لم يترك ظاهرة طبيعية إلا وسجلها فنراه لم يكتف بذكر الجبال فحسب وإنما تعدها إلى ذكر نواحي طبيعية أخرى وهي السهول نظرا لما لها من أهمية في حياة السكان وقد أسهب في ذكر فضائل السهول عن غيرها من أقسام السطح ، فنراه حين تطرق إلى ذكر العراق وبغداد واختيارهما من قبل بني العباس كمستقر لهم فضلوا ارض العراق لسعتها وكثرة سهولها فيقول: (( عرفوا بحسن تمييزهم وصحة عقولهم وكمال أرائهم فضل العراق وجلالتها وسعتها ووسطها للدنيا ))[1] ثم يقارن سعة

( [1] )- اليعقوبي ، كتاب البلدان ،طبعة النجف ،ص 5.

العراق وانبساط أرضه بغيره من الأقطار ذات الظروف الطبيعية المختلفة فيقارنه مع الشام فيقول عنه :(( الضيقة المنازل الحزنة الأرض ))([1])

كما اهتم اليعقوبي اهتماما كبيرا بالأنهار ومصادر الحياة ، حيث يذكر الأنهار ومنابعها والمناطق التي تسقيها ، وسبب اختيار بغداد هي كثرة المياه ، ولم يقتصر اهتمامه على بغداد فقط بل اهتم لجميع المدن التي يمر بها نهر دجلة والفرات ، كما انه ميز بين الأنهار الدائمة الجريان والأنهار المتقطعة الجريان ، واهتم بذكر العيون المائية وتطرق إلى المياه الجوفية (الآبار ) وذكرها في مناسبات عديدة ، كما لم ينسى اليعقوبي الينابيع المائية المعدنية الحارة المياه .

لقد أولى اليعقوبي في كتابه البلدان الجانب المناخي بعض الاهتمام ،لذلك يعتبر كتابه من أوائل الكتب الجغرافية التي تضمنت مثل تلك الإشارات المناخية ، ويلاحظ أن إشاراته المناخية اقتصرت على المدن الكبرى وخاصة بغداد وسامراء ، وأشار إشارة واضحة إلى تأثير المناخ على النشاط البشري والتقدم الحضاري ، فالمناطق الباردة والحارة لا تساعد على النشاط البشري ، وقد أدرك اليعقوبي هذه الحقيقة ، وأكد على تأثير المناخ على السلوك الإنساني وما يترتب على ذلك من ممارسات للأنشطة الاقتصادية المختلفة .

وتضمن كتاب البلدان جوانب حضارية منها هندسة الري والصناعة ، وقد أسهب كثيرا في دراسته للموارد المائية وما يترتب عليها من أعمال تتعلق بشق الترع والخنادق والقنوات التي تحتاج إلى أعمال هندسية خاصة ، وذلك يعكس القدرة العقلية لدى مهندسي العرب والتقدم العلمي الذي وصل إليه العصر العباسي ، ولم يكتفي بذكر تلك الاثار الهندسية التي تدل على طول باع العرب في مجال هندسة الري فحسب بل نراه يصف خزانات المياه التي تأخذ حاجتها من المياه عن تلك القنوات .

وتطرق اليعقوبي إلى بعض الصناعات ومنها الآلات المائية التي يستخدمها الإنسان في مجال الري والطواحين المائية وصناعة النسيج والورق وصناعة الصباغة ، وأولى اهتماما بالغا لإمكانية البلدان الاقتصادية سواء كانت زراعية ام معدنية ام مواد مصنعة إضافة إلى ذلك أن اليعقوبي أسدى للجغرافية الاقتصادية خدمات جليلة عن

( [1] )- نفس المرجع ،6

طريق توضيحه لطرق المواصلات سواء كانت برية أم بحرية والتي عن طريقها تنقل تلك الموارد .

وكان للجوانب الإحصائية حيزا في كتاب البلدان فذكر خراج المدن والأقاليم ويذكر هذه الإحصائيات في كل المدن التي يمر بها وكأنه كان معجبا بهذه الإحصائيات ، وكذلك ذكر إحصائيات للدروب في بغداد وكذلك المساجد والحمامات وغيرها .

وطرح معطيات خاصة تتعلق بجغرافية المدن ، حيث تناول المدن التي كانت قائمة قبل الإسلام والمدن التي أنشئت في المدة الإسلامية وصنفها إلى المدن القديمة ومدن العصر الإسلامي والتي أشار إلى عوامل قيامها ممثلة بالعامل الديني والعامل الحربي والسياسي والعامل التجاري

من خلال ذلك تكمن أهمية كتاب البلدان ، وليس من الغريب ان ينهل منه المستشرقون الذين استفادوا كثيرا من ذلك الكتاب محتواً ومضمونا .

إلا أن ذلك لم يمنع البعض من المستشرقين من التعليق على منهجية اليعقوبي في كتاباته التاريخية الجغرافية فالمستشرق فرانتز روز نثال يعلق على اهتمام اليعقوبي بالجانب الثقافي الذي اشرنا إليه سابقا ،إذ يقول : (( وفيه يحل التاريخ الثقافي محل التاريخ السياسي متبعا ذلك حيثما افتقد الأخبار عن التاريخ السياسي ))([1])

وقد أشار بعض الباحثين إلى خطأ هذا الاعتقاد من خلال تقديم الأدلة المقنعة على ذلك الخطأ، ومن هذه الأدلة :- ([2])

1- إن اليعقوبي المؤرخ الكبير والجغرافي ، لا تنقصه الأخبار بقدر ما تنقص الأخبار الدقة والصدق ، فان أراد أن يكتب كل ما سمعه فبإمكان أي كاتب أن يقوم بهذا العمل ، لكن اليعقوبي الباحث والناقد ليس من هذا الطراز ، فهو لا يكتب إلا ما يقتنع بصحته ولا يأخذ إلا فيمن يتوسم فيهم الأمانة والصدق ، هذا إذا ما علمنا ان التاريخ القديم يصعب استخدام النقد فيه ،إذ يصعب التميز بين العناصر الأسطورية وغير الأسطورية وبين العناصر التاريخية.فإذا الروايات القديمة بين الشك واليقين ، فكيف تطلب من باحث أن ينزلق ويأخذ كل ما يسمعه ؟ فهذا أمر لا يمكن أن يكون مع اليعقوبي ، إضافة إلى ذلك أن المواد التاريخية المتيسرة في عهد اليعقوبي قد تسربت اليها الأساطير اليهودية والمسيحية ، مما اوجب على اليعقوبي ان يمحص رواياته ويأخذها من مصادر موثوقة أو قريبة إلى الثقة .لهذا السبب اقتصر في شرحه على المواد التي يرى فيها الثقة والقناعة .

2- إن اليعقوبي اتبع منهجا موضوعا محدد الاتجاه وسار عليه ويقوم على الاختصار ، لا التطويل ، ونستطيع ملاحظة ذلك حين إيراده قصة ثمود وصالح نبيها ، نراه قد أوجز في ذكر هذه القصة

---

([1])- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،مرجع سابق ،ص 184

([2])- ياسين ابراهيم علي الجعفري ، مصدر سابق ،ص 104-106

حيث أوجزها بسبعة اسطر ، أما المسعودي فنراه قد أعطى التفصيلات لهذه القصة وأتمها في ثلاث صفحات ، علما بان مصادر هذه القصة واحدة ، لكن اليعقوبي التزم المنهج الذي وضعه لنفسه ولم يحد عنه ، وكان بإمكانه أن يضخم مؤلفه على هذا النمط ، وهو قادر على ذلك لكنه لم يفعل .

3- إن اليعقوبي العالم استهوته العلوم وأراد أن يقدم للقراء خلاصة عن تطور تلك العلوم ، لذلك يكون والحالة هذه أول من كتب عن تاريخ العلوم ، وان كان لم يخصها ببحث مستقل لكنه افرد لها من تاريخه نسبة كبيرة ، خاصة وان تاريخ العلوم يفيدنا بأمثلة جلية جليلة ، ثم أن في تاريخ العلوم لعبرة لمن يتفكر وعظة لمن يتذكر .

هذا يعني ان المستشرق فرانتز روزنثال لم يجانب الصحة حين وسم اليعقوبي بقلة المادة التاريخية المتوفرة لديه لكتابة تاريخه . فاليعقوبي كان كثير السفر والترحال واشتهر في رحلاته في أرمينيا وخراسان والهند وتركستان والأندلس والمغرب ومصر والشام والعراق ، وكان يسال أهل البلدان عن عاداتهم ومكوناتهم والمسافات بين مدنهم وزراعاتهم وصناعاتهم ، وقد حظي كتابه الموسوم (كتاب البلدان ) بشهرة واسعة في القارة الأوروبية ([1]).

وما يؤكد حقيقة الدقة والعلمية لمؤلفات اليعقوبي وغيره من الرحالة العرب ما يقوله المستشرق الروسي كرتنسكوفسكي في موسوعته تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، لا يقتصر محيط الأدب الجغرافي على البلاد العربية وحدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب او التي تجمعت لديهم معلومات عنها وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الإسلام ، وقد يحدث أحيانا أن تمثل المادة الجغرافية العربية ، أما المصدر الوحيد أو الأهم لتاريخ حقبة معينة لقطر ما ، وقد اتخذت الرحلات العربية طابع الحيوية والنشاط منذ القرون الأولى للخلافات ، إذ أن الإسلام في حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، كما استخدمت التجارة الطرق البرية والبحرية وهكذا ساعد الدين والتجارة على توسع مدى الأسفار كما ساعد العلم في ذلك أيضا ، إذ رحل الناس في طلب العلم من الأندلس إلى بخارى ومن بغداد إلى قرطبة .([2])

---

([1])- شاكر خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، بغداد ،1979 ،ص 9 .

([2])- نعمان دهش صالح العقيلي ، الرحالة العرب والادب الجغرافي السياحي ، مجلة الجمعية الجغرافية ، مجلد الثامن عشر ،1986،ص 119.

**ويضيف قائلاً، يمكن القول بأنه وضح حاليا لعلماء أوروبا بصورة لا تقبل الشك أن الأهمية الأساسية للأدب الجغرافي العربي تستند على ما أسهم به من مادة جغرافية جديدة لا على النظريات التي اعتنقها ، ومنذ البداية يجب ملاحظة الاتساع الهائل في مدى المعلومات الجغرافية لدى العرب عند مقارنة ذلك بما عرفه العالم القديم ، فقد عرف العرب أوروبا اجمعها باستثناء أقصى شمالها وعرفوا النصف الجنوبي من أسيا كما عرفوا أفريقيا الشمالية إلى خط عرض 10 شمالا وساحل أفريقيا الشرقي إلى قرب مدار الجدي وترك لنا العرب ومنهم اليعقوبي وصفا مفصلا لجميع البلدان من اسبانيا غربا إلى تركستان ومصب السند شرقا ، ولم يقتصر اهتمامهم على الظواهر الجغرافية الطبيعية او الظروف المناخية فحسب بل الحياة الاجتماعية والصناعة والزراعة واللغة والتعليم الديني([1]).**

**الخلاصة:**

**التراث العربي الجغرافي لليعقوبي غني بدراساته عن معظم البلدان ، ويرجع الفضل في ذلك إلى أسلوبه الذي طبقه في كتاباته في التاريخ والجغرافية ،رغم الاختلاف النسبي بين الموضوعين ، فالأسلوب الجغرافي تميز بأنه أكثر علمية ووضوحا ، حيث اتبع أسلوبا علميا مبسطا سهل المأخذ ، أسلوبا يؤدي الغرض من الكتابة وهو أسلوب الإيضاح والابانه في مقام الوصف العلمي والكتابة العلمية ، وبالتالي فان هذا الأسلوب لا يخضع للمقاييس او الموازين التي تخضع لها الكتابة الفنية او الوجدانية .**

**إن فائدة الرحلات التي قام بها اليعقوبي لم تكن فقط لغرض تقصي الحقائق والمعلومات ،بل ظلت إلى يومنا هذا مصدرا لمعرفة كثير من الحقائق الجغرافية عن البلدان وبقاع لم تظهر له أهمية خاصة إلا في العصر الحديث ، كما يتضح إن مثل تلك الرحلات التي أنتجت فكرا تاريخيا وجغرافيا لا غنى عنها في الدراسات التاريخية والجغرافية الحالية ، ولذلك فان تغير أوضاع العالم وطراز حياة الناس ومعاشهم في سائر أرجائه بصورة مستمرة يجعلها تعرض مادة لا تتوفر في ثنايا كتب الجغرافية الإقليمية أو الدراسات النسقية او مصادر البيانات والمعلومات .**

---

([1]) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، منشورات الجامعة العربية ،ج1 ،ص17.

لهذا فقد حظيت مؤلفات وكتب اليعقوبي وخاصة (كتاب البلدان ) بعناية خاصة للعديد من المستشرقين وخاصة العاملين في الميدان الجغرافي ، خاصة وان كتاب البلدان ما هو الا نتاج جهد كبير لليعقوبي الذي كرس حياته ووجدانه من اجل ان يكتب ويصنف كتابا جغرافيا مستمدا من الواقع الطبيعي والاجتماعي الذي شاهده بنفسه وعايش أوضاعه وظروفه ، وبهذا جاء الكتاب صورة واضحة ناطقة ومعبرة عكست كل جزئيات ذلك الواقع .

المراجع والمصادر:

أ:المراجع والمصادر القديمة:


1- ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،جزء9.

2- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ،ج5.

3- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،دار صادر ،بيروت ،1960.

4- اليعقوبي ، كتاب البلدان ،طبعة النجف ،ص 5.

5- كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، منشورات الجامعة العربية ،ج1

6 - الطبري ،تاريخ الرسل والملوك .


ب:المراجع والمصادر الحديثة:


1-ايست، جوردون ،الجغرافيا توجه التاريخ ، ترجمة جمال الدين الدناصورى،دار الهلال ،بدون تاريخ ومكان طبع .

2-جب ، هاملتون ،دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة أحسان عباس وآخرون ، بيروت ،1964.

3- الجعفري ، ياسين إبراهيم علي ، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي ،دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد .

4- المنجد ، صلاح الدين ،أعلام التاريخ والجغرافية ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،1997.

5- العقيلي ،نعمان دهش صالح ، الرحالة العرب والأدب الجغرافي السياحي ، مجلة الجمعية الجغرافية ، مجلد الثامن عشر ،119.

6- فضيل ،عبد خليل وإبراهيم عبد الجبار المشهداني ، الفكر الجغرافي ،دار الحكمة للطباعة والنشر ،الموصل ،1990.

7- روزنتال، فرانز ،علم التاريخ عند المسلمين ،ترجمة صالح احمد العلي ،مراجعة محمد توفيق حسين ،بغداد ،1963.

8- خصباك ، شاكر ،في الجغرافية العربية ،دراسة في التراث الجغرافي العربي ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،1988.

9- خصباك ، شاكر ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، بغداد